تجليات عقدية في الآيات القرآنية بالبلاد الغربية

الباحث: الشيخ محمد العاقب الطالب معزوز [1]

جامعة العلوم الإسلامية بموريتانيا

تاريخ الارسال: 03-12-2019 تاريخ القبول:14-02-2020 تاريخ النشر: 31-03-2020

الملخص:

المتأمل في الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتجلى له بوضوح أهمية العقيدة الصحيحة، التي لها أثرها في الفرد والمجتمع.

فينبغي لطلاب العلم معرفة هذه العقيدة وتبيينها لأولئك الذين يجهلون هذه العقيدة السمحة ويؤولونها إلى حرب طاحنة لا تبقي فردا ولا جماعة، وتقتل البريء وغيره، وتخلط على الناس وجهة الحق. خاصة إخواننا في بلاد المهجر (البلاد الغربية) فهم في أمس الحاجة إلى معرفة الإسلام الصحيح الذي جاء بمكارم الأخلاق والمحبة، الدين الذي يجمع ولا يفرق.

الكلمات المفتاحية: الآيات، الأحاديث، كلام أهل العلم، البلاد الغربية.

Abstract:

Who study Koranic verses, Hadith and the traditions of the people of knowledge would clearly see the importance of pure creed that has a profound impact on the individual and the society. Students of knowledge should study this creed and clarify it to those who ignore its tolerant teachings. Because of ignorance, some people misunderstand the creed of Islam and they misuse it to declare a fierce war against people who don't accept their limited understandings. Our brothers and sisters in the diaspora need to know the true religion of Islam that calls for ethics and tolerance. Finally, Islam ,the religion of peace, could unify mankind.

Keywords : Koranic verses, Hadith and the traditions of the people of knowledge. Western countries

P-ISSN : 2571-9807 / E-ISSN : 2710-8244

المقدمة:

الحمد لله حمدا يليق بعظيم وجهه وجلال سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وعمل بسنته إلى يوم الدين.

لا يخفى على من له إلمام بسيط بعقول الشباب في هذا الزمان ما يعانونه من تدهور كبير من الناحية الدينية والأخلاقية.

وعلى هذا الأساس فإني حاولت في هذه المقالة أن أوضح للشباب الذين هم قادة هذا المجتمع مفهوم التوحيد الذي هو أساس كل شيء في حياتهم, وكذلك غير الشباب.

إشكالية المقال:

يعالج المقال ضعف عقيدة الشباب.

ماهي الطرق التي يصح بها تصحيح عقيدة المراهق.؟

وهل يكفي فيها تعلميه الأصول من القرآن والسنة.؟

وقسمتها إلى مبحث ومطلبين وخاتمة.

واعتمدت فيها على كثير من المصادر المعتبرة, وجل اعتمادي على القرآن الكريم.

المبحث : مفهوم التوحيد وشروطه

المطلب الأول: لغة واصطلاحا

لغة: أصل التوحيد وحد:

-الواحد الله تعالى هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر[2].

-وحد: الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد[3].

-التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأوحد الأحد والمتوحد ذو الوحدانية[4].

-وإذا وصف الله عز وجل بالواحد فمعناه هو الذي لا يصلح عليه التجزؤ والتكثير، ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون[5])[6]

-الأحد: أصله وحد ويقع على الذكر والأنثى ويكون مرادفا لواحد في موضعين سماعا. أحدهما أصل اسم الباري فيقال هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية فلا يُشركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ولا درهم أحد ونحو ذلك[7].

والتوحيد ضدُ الشرك

والشرك هو: أن يجعل العبد لله ندا، فيعبد سواه. تعالى الله عن ذلك.

-**الشرك**: شرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى وهو على أربعة أنحاء: الشرك في الألوهية، والشرك في وجوب الوجود، والشرك في التدبير، والشرك في العبادة.

والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور والرياء والنفاق وغيرهما ... "الإشراك: هو إثبات الشريك في الألوهية، ووجوب الوجود كما للمجوس، أو بمعنى استحقاق العبادة كما لعبدة الأوثان[8].

-يقال شركته في الأمر شركة- والاسم الشرك- وشاركته إذا صرت شريكه، أشرك بالله إذا جعل له شريكا، والشرك الكفر، ومنه ح: من حلف بغير الله فقد "أشرك" حيث جعله كاسمه الذي يحلف به[9].

-الشرك: ظلم عظيم[10].

-شرك: قال الله عز وجل مخبرا عن عبده لقمان الحكيم أنه قال لابنه (وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم لعظيم[11])، والشرك أن يجعل لله شريكا في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد[12].

-**والشرك أنواع:**

شرك الاستقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس.

وشرك التبعيض: وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى.

والتقريب: وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية.

وشرك التقليد: وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية

وشرك الأسباب: وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك.

وشرك الأغراض: وهو العمل لغير الله.

فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر بطبعها حكي الإجماع بتكفيره ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق[13].

واصطلاحا: يقول الجرجاني: التوحيد: ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة.[14]

قال أبو الحسين: والتوحيد في الاصطلاح له إطلاق عام وذلك باعتباره فعلا من أفعال القلوب، وله إطلاق آخر خاص باعتباره علما على علم معين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله. توحيد الله تعالى هو الشهادة بأن الله إله واحد، ومعنى: (وحدت الله): اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته، لا نظير له ولا شبيه له، (التوحيد) هو: (الاعتقاد والشهادة بأن الله سبحانه وتعالى منفرد بذاته وصفاته وربوبيته وإلهيته، وعبادته، لا شريك له في ذلك كله)، (التوحيد وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن المبتدعة والمتأولة قد اتخذوه أصلا لإنكار كثير من صفات الله تبارك وتعالى، فكلما ضاقت قلوبهم عن الإيمان بصفة من صفاته عَزَّ وَجَلَّ سلطوا عليها معاول التأويل والهدم فأنكروها واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) متجاهلين تمام الآية: (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[15])؛ فهي قد جمعت بين التنزيه والإثبات فمن أراد السلامة في عقيدته فعليه أن ينزه الله تعالى عن مشابهته للحوادث دون تأويل أو تعطيل، وأن يثبت له عَزَّ وَجَلَّ من الصفات كل ما أثبته لنفسه في كتابه أو حديث نبيه دون تمثيل، وهذا هو مذهب السلف... وسائر الأئمة كما تراه مفصلا في الشرح (**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**[16])ما ورد والمراد به التوحيد وذلك قوله تعالى: (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**[17])، والمراد بكفره بالتوحيد، كقوله تعالى: (**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**[18]) والمراد يدعون إلى التوحيد.[19]

فهذه الوصايا تبدأ بالتوحيد قال تعالى:**(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً[20])** قال أحمد المراغي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: وقد بدأها(الوصايا) بأكبر المحرمات وأعظمها وأشدها إفسادا للعقل والفطرة، وهو الشرك بالله، سواء أكان باتخاذ الأنداد له أو الشفعاء المؤثرين في إدارته، أو بما يذكر بهم من صور وتماثيل وأصنام وقبور، أو باتخاذ الأرباب الذين يتحكمون في التشريع فيحللون ويحرمون[21].

والتوحيد ليس بالأمر السهل، فأمر التوحيد عظيم؛ إذ هو القاعدة والركيزة التي تُبنى عليها عبادة الإسلام، وتُبنى عليها عقيدة المسلم. وأي بناء ليس له أساس فإنه قابل للانهيار. ولعظم التوحيد استحق أن يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في حياته المكية لمدة ثلاث عشرة سنة وهو يقول للناس: (قولوا: لا إله إلا الله) لا يزيد على ذلك، وربما يلفت الأنظار طول هذه المدة، ولكن حينما نرى أثر التوحيد في العبادة وضعف العبادة بدون توحيد لا نستكثر هذه المدة، فإنها مدة استطاعت أن ترسخ عقيدة التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

قال الغزالي رحمه الله تعالى: ليس لهذا العالم إلا إله واحد، يخضع له بالقهر والجبروت كل ما سواه، قال تعالى:**(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [22])**.

الشرك بالله: هو أول ما نهي عنه في القرآن الكريم قال تعالى: **(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[23])**. وقال النيسابوري رحمه الله في تفسير قول الله تعالى:**(واعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً[24])** فإن من عبد الله وأشرك به شيئا آخر فقد حبط عمله وضل سعيه.[25]

وأول أمر كذلك في القرآن هو عبادته وحده، قال تعالى:**(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[26])**.

قال محمد الغزالي رحمه الله تعالى: وإذا استقرأنا ما توهمه الناس شريكا لله في ألوهيته، لم نجد أحدا من هؤلاء الشركاء المزعومين ترشحه حالته، ليكون في هذا الوجود شيئا طائلا.[27]

عدم الشرك بالله هو القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة.

جاء في مجموعة التوحيد: اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:(**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**[28]).فما صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله. وتنفيها عن كل معبود سواه.[29]

ويجب ابتداءً أن يعرف الإنسان بأن الله هو الخالق المدبر وأنه هو الله لا إله غيره.

فالشرك هو أعظم المبيقات، قال محمد حسين: قدم الله تعالى الشرك على سائر المحرمات لأنه الظلم العظيم الذي لا مطمع في المغفرة الإلهية معه، قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**[30]) وإليه تنتهي كل معصية كما تنتهي إلى التوحيد بوجه كل حسنة.[31]

وفي الحديث القدسي الذي حسن إسناده الدارمي:عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهُ تعالى: "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك علي ما كان فيك، ابن آدم إنك إن تلقاني بقراب الأرض خطايا، لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئا، ابن آدم، إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء، ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي""[32].

والشرك لا يصح معه عمل، ولا يستحق المشرك عن عمله الحسن الثواب، قال تعالى:(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا[33]).

وقال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)34 قال سيد قطب رحمه الله تعالى: يجب ابتداء أن يعترف الناس بربوبية الله وحده لهم في حياتهم كما يعترفون بألوهيته وحده في عقيدتهم، لا يشركون معه أحدا في ألوهيته، ولا يشركون معه أحدا في ربوبيته كذلك. ويعترفون له وحده بأنه هو المتصرف في شؤون العباد في عالم الحكم والشريعة كلها.

إنها تنقية الضمير من الشرك، وتنقية العقل من الخرافة، وتنقية المجتمع من تقاليد الجاهلية، وتنقية الحياة من عبودية العباد للعباد.

إن الشرك في كل صوره هو المحرم الأول لأنه يجر إلى كل محرم. وهو المنكر الأول الذي يجب حشد الإنكار كله له، حتى يعرف الناس أن لا إله إلا الله، ولا رب لهم إلا الله، ولا حاكم لهم إلا الله، ولا مشرع لهم إلا الله.[35]

قال أبو بكر المرادي الحضرمي: لا يقطع على الله سبحانه وتعالى بعذاب مكلف إلا في موضعين:

أحدهما: من مات على كفر.

والثاني: طائفة من العصاة غير معينة ثم يخرجها من النار برحمته وبشفاعة نبيه.[36]

وفي حديث جبريل عليه السلام: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال :يا محمد أخبرني عن الإسلام "، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا"، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[37].

قال أبو زيد القيرواني رحمه الله تعلى: إن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.[38]

قال وحيد الدين خان: إن أكبر دليل على وجود الإله هو مخلوقه، هذا الذي نجده أمامنا. وأوثق ما علمنا من حقائق الطبيعة يدعونا إلى الإيمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلها واحدا. ونحن لا نستطيع أن نفهم أنفسنا، بل الكون كله، مجردين من الإيمان بوجود الإله.[39]

وجميع هذه التعاريف، والآيات، والتفسيرات، تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته.

المطلب الثاني: شروط التوحيد

إن لكل شيء حقيقة ولكل كلمة معنى، فينبغي معرفة معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله". فتعلم ذلك يقينا منافيا للجهل، إذ يراد بها نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله وحده، ولذلك قال سبحانه: (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاإِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**[40])، وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة".[41]

قال الحازمي رحمه الله تعالى: إنما ذُمُّوا بأن شَركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوا لله كمحبة المؤمنين لهم كما يحب المؤمنون الله تعالى محبة خالصة هم أحبوا الله وأحبوا المعبودات فلم يخلصوا لله تعالى المحبة كإخلاص المؤمنين لله سبحانه وتعالى، هذا ما يتعلق بالعبادات القلبية، وهي أساس، وينطلق منها التوحيد. ولذلك أعظم شروط التوحيد الإخلاص، والصدق، واليقين. وهذه كلها محلها القلب والعمل الظاهر لازم لها[42].

وتوحيد الله لابد فيه من عدة شروط، منها:

أن يكون عمله خالصاً لله وحده، وأن يؤدي ما أوجب الله عليه من شروط الإيمان ومقتضيات الإيمان؛ من الابتعاد عن الشرك بجميع أنواعه، وأن يكون موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

واليقين الذي ينافي الشك، وذلك أن تستيقن يقينا جازما لا يداخله شك أو تردد بمدلول كلمة التوحيد، لأنها لا تقبل شكا ولا ارتيابا ولا ظنا، فقد جعل الله تعالى هذا اليقين علامة على

الإيمان قال الله تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِين آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَ لَم يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيل اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[43]).

وإذا علمت وتيقنت فينبغي أن يكون لهذا العلم أثره، فيدفعك إلى القبول لما تقتضيه هذه الكلمة وتطلبه منك بالقلب واللسان، فمن رد هذه الكلمة ولم يقبلها كبرا أو حسدا فإنه يكون كافرا، فقد قال الله تعالى عن الكفار:(إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَاقِيلَ لَهُمْ لاإِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ. وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَ الِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ[44]).

أما من آمن بها وقبلها فله النجاة عند الله وعداً منه ولا يخلف الله وعده:(ثُم نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِين آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ[45]).

والانقياد لما تطلبه منا من الطاعة والالتزام انقيادا تاما، وذلك هو المحل الحقيقي والمظهر العملي للإيمان، ويحصل هذا بالعمل بما فرضه الله تعالى، وترك ما حرمه الله تعالى، وعندئذ يتحقق الإيمان. فقد أقسم الله تعالى بذلك فقال:(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ[46]) عامة على ظاهرها، فلا يجوز للمسلمين أن يخرجوا عن شريعة الله، بل يجب عليهم أن يحكموا شرع الله في كل شيء، فيما يتعلق بالعبادات، وفيما يتعلق بالمعاملات، لكونها تعم الجميع، ولأن الله سبحانه يقول: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُون[47])وأن يكون الإنسان صادقا، ليبتعد بذلك عن الكذب والنفاق، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم كاذبين فيما يقولون، فجاء القرآن يبين اشتراط الصدق في القول بها:(يَقُولُون بِأَلْسِنَتِهِم مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ[48])، وفي الصحيح من حديث معاذ:"ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار".[49]

والمحبة، أن يحب المرء هذه الكلمة والعمل بمقتضاها، ويحب أهلها المطيعين بها والعاملين بها. أن لا يجعل ندا لله وشريكا:(وَمِن النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذ مِن دُون اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِ اللَّهِ وَالَّذِين آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ[50]).

ومتى استقرت هذه الكلمة عقيدة في القلب فإنه لا يعدلها شيء. فقد قال صلى الله عليه وسلم: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[51].

ولو رجعنا إلى تاريخ الصحابة وحياتهم لوجدنا أروع الأمثلة على ذلك: أبو بكر في دفاعه عن رسول الله، وعلي في فدائه للرسول صلى الله عليه وسلم، وخبيب بن عدي، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، الذين شهد لهم التاريخ بفدائهم وشجاعتهم وحبهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

الإخلاص لله تعالى وهو أعظم الشروط؛ أي صدق التوجه إلى الله تعالى وتصفية القلب والعمل بصالح النية عن كل شائبة من شوائب الشرك وألوانه.

قال محمد جمال الدين رحمه الله تعالى: والإخلاص لله تعالى: أن يقصد الإنسان بقوله وعمله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته من غير نظر إلى مغنم، أو جاه، أو لقب، أو أن يقول عنه الناس إنه محسن، أو شجاع، أو نحو ذلك، فإن ذلك رياء يحبط العمل ويفسده. والإخلاص هو أساس العبادة، فإن العبادات كلها لا تكون مقبولة ولا معتادا بها إلا إذا توفر لها شرطان:

أحدهما باطن وهو: إخلاص النية فيها لله عز وجل، بحيث لا يقصد بها إلا وجه الله والدار الآخرة.

والآخر ظاهر وهو: المتابعة فيها للشرع ومجيئها وفق ما أمر الله به رسوله من غير زيادة، ولا نقصان[52].

وقد تواردت الآيات في ذلك قال تعالى:(فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا[53]).قال الطبري رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك (فمن كان يرجوا لقاء ربه) يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته (فليعمل عملا صالحا) يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية.[54]

قال ابن عاشر رحمه الله تعالى:

أول واجب على من كلفا *** ممكنا من نظر أن يعرفا

الله والرسل بالصفــات ***مما عليه نصب الآيات

قال الشارح: أخبر أن أول ما يجب على المكلف، وهو العاقل البالغ، حالة كونه ممكنا من النظر، ومعرفة الله تعالى، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والتسليم، بالصفات التي نصب الله عليه الآيات، أي أقام عليها البراهين، والأدلة، إذ الجهل بالصفة جهل بالموصوف.[55]

وليس له ولد، كما زعم النصارى واليهود، وكذبهم القرآن الكريم قال تعالى:(وَقَالَت الْيَهُودُ عُزَيْر ابْن اللَّه وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِم يُضَاهِونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْل قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[56])

قال ابن كثير رحمه تعالى عند تفسير هذه الآية: وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في العزير: إنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[57]

قال أبو زيد القيرواني رحمه الله تعالى: ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له قال شارحه عبد الوهاب: لأن كل هذه الأشياء سمات الحدث، ودلائل تقتضي الوجود عن العدم، وكونه إلهاً قديما ينفي ذلك.[58]

ويجب على المسلم أن يكون متوكلا على الله حق توكله. قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: حقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد، ويظهر أثرها على الأعمال، فهي ثلاثة أركان: المعرفة، والحال، والعمل.

الركن الأول: المعرفة، وهي أصل، وأعني بها التوحيد، فإنها إنما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا سواه. وكمال هذه المعرفة يترجمه قولك: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ولحمد، وهو على كل شيء قدير" إذ فيه إيمان بالتوحيد، وكمال القدرة والوجود والحكمة التي يستحق بها الحمد. فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده، وثبت في قلبه الأصل

الذي منه ينبعث حال التوكل، وأعني بالصدق فيه أن يصير معني القول وصفا لازما لذاته، وغالبا على قلبه، لا يتسع لتقدير غيره.[59]

التوكل على الله هو الاعتماد عليه، والتفويض إليه، والاكتفاء به، وهو بخلاف التواكل: وهو أن يتكل بعضنا على بعض، ولا يفعل أي منا شيئا، ولا يبذل جهدا، وحقيقة التوكل: أن تأخذ بالأسباب وتدع النتائج إلى الله، كقوله تعالى:(رَبِّي عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ[60])[61].

الخاتمة:

والمتأمل في هذه الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتجلى له بوضوح أهمية العقيدة الصحيحة، التي لها أثرها في الفرد والمجتمع.

فينبغي لطلاب العلم معرفة هذه العقيدة وتبيينها لأولئك الذين يجهلون هذه العقيدة السمحة ويؤولونها إلى حرب طاحنة لا تبقي فردا ولا جماعة، وتقتل البريء وغيره، وتخلط على الناس وجهة الحق. خاصة إخواننا في بلاد المهجر فهم في أمس الحاجة إلى معرفة الإسلام الصحيح الذي جاء بمكارم الأخلاق والمحبة، الدين الذي يجمع ولا يفرق.

الهوامش:

[1] **الباحث: الشيخ محمد العاقب الطالب معزوز – جامعة العلوم الإسلامية بموريتانيا.**

البريد الإلكتروني: cheikh8877@gmail.com

2– مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للمؤلف: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ) الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الطبعة: الثالثة، 1387 هـ – 1967م

عدد الأجزاء: 5 – ج5 – ص 22.

[3]– معجم مقاييس اللغة للمؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ – 1979م. عدد الأجزاء: 6 – الجزء 6– ص 90.

[4]– تاج العروس من جواهر القاموس للمؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية . ص 268 .

[5]– سورة الزمر الآية 45

[6]–تاج العروس– م س ص 275 –.

[7]– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة– إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات حامد عبد القادر– محمد النجار– الناشر دار الدعوة، الجزء 2/ ص 1016.

[8]– التعريفات الفقهية– محمد عميم الإحسان المجددي البركتي– الناشر: دار الكتب العلمية إعادة للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ/1986م، الطبعة الأولى 1424هـ 2003م الجزء 1 ص 121.

[9]– مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار– جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي المتوفي 986هـ الناشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة 1387هـ 1967م الجزء 3، ص 211.

[10]– العين– أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصرى المتوفي 170هـ المحقق د.مهدي المحز وميد.إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال الجزء 5 ص 293.

[11]– سورة لقمان الآية 13

[12]– تهذيب اللغة محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبو منصور المتوفي 370هـ المحقق محمد عوض مرعب الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت– الطبعة الاولى 2001م، الجزء 10 ص 12.

[13]– الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية– أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي أبو البقاء الحنفي المتوفي 1094 هـ المحقق عدنان درويش محمد المصري– الناشر مؤسسة الرسالة– بيروت– الجزء 1– ص 533.

[14]– التعريفات للمؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ج1 ص 69 المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنانالطبعة: الأولى 1403هـ –1983م

[15]– سورة الشورى الآية 11

[16]– سورة الأنعام الآية 90

[17]– سورة المائدة الآية 5

[18]– سورة غافر الآية 10

[19] – الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار –أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)ج3 ص 740 المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف–الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية–الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م–عدد الأجزاء: 3ص740

[20]– سورة الأنعام الآية151

[21]– تفسير المرغي لأحمد مصطفي المراغي ج 8 ص66–الناشر دار الفكر– الطبعة الثالثة 1394هـ /1974م

[22]– سورة مريم الآية93–95

[23]– سورة البقرة الآية 22

[24]– سورة النساء الآية36

[25]– غرائب القرآن ورغائب الفرقانالمؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) ج2 ص 412 المحقق: الشيخ زكريا عميراتالناشر: دار الكتب العلميه – بيروتالطبعة: الأولى – 1416 هـ

[26]– سورة البقرة الآية 21

[27]– عقيدة المسلم محمد الغزالي ص52–الناسر دار الدعوة والنشر والتوزيع–الطبعة الخامسة1429هـ2008م

- سورة النحل، الآية: 36. [28]

[29]– مجموعة التوحيد وتحتوي على ست عشرة رسالة – الناشر المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبد المحسن الكتبى–المدينة المنورة–باب الرحمة ص9

[30]– سورة النساء الآية 116

[31]– الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ج7 ص386–الناشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات–بيروت لبنان–الطبعة الأولى 1417هـ–1997م

[32]– مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)لمؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)رقم الحديث2830ج3ص1835تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 2000 م

وسنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) رقم الحديث3549 ج5 ص548 بلفظ آخر ولكن قريب من هذا اللفظ تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)

وإبراهيم عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م جـ 4، ص5

[33]– سورة الفرقان الآية 23

[34]– سورة لقمان الآية 13

[35]– في ظلال القرآن للسيد قطب– الناشر دار الشروق–الطبعة الشرعة الرابعة والثلاثون–1426هـ 2004م ج3 ص1230

[36]– عقيدة أبي بكبر المرادي الحضرمي (ت 489هـ – 1106م) تحقيق وتقديم: الدكتور جمال علا البختي ص311 –الناشر مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية الرابطة المحمدية للعلماء– شارع أحمد الحريزي– تطوان.

[37] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) رقم الحديث1–8المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج1 ص36

والصحيح ابن خزيمة المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ) ج4 ص127 رقم الحديث 2404 المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

وسنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) رقم الحديث 4695 المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ج3 ص223

[38]– متن الرسالة المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ) الناشر: دار الفكر ج 1 ص 8

[39]– الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان –تعريب ظفر الإسلام خان–تحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين– –الناشر دار الحديث العلمية– الطبعة الأولى 1390–1970– ص73

[40]– سورة محمد الآية19

[41]– صحيح مسلم م س رقم الحديث42 –26 ج1 ص55

والسنن الكبرى للنسائي م س رقم الحديث 10889 ج9 ص409 والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي،البُستي (المتوفى: 354هـ) رقم الحديث201ج1ص431ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988م

[42]–شرح كشف الشبهات المؤلف: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ج4 ص8

[43]– سرة الحجرات الآية 15

[44]– سورة الصافات الآية 35

[45]– سورة يونس الآية 103

[46]– سورة النساء الآية65

[47]– سورة المائدة 50

[48]– سورة الفتح الآية 11

[49]– الكتاب: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي رقم الحديث 128ج1ص37المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، 1422هـ

[50]– سورة البقرة الآية165

[51] – صحيح البخاري م س رقم الحديث16ج1ص12 وصحيح مسلم م س رقم الحديث67–43ج1ص66و الكتاب: المجتبى من والسنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) رقم الحديث4988 ص8 ص96 تحقيق: عبد الفتاح أبو غدةالناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلبالطبعة: الثانية، 1406 – 1986

[52]– دلائل التوحيد للشيخ محمد جمال الدين القاسمي(ت1332) ص89–الناشر دار النفائس–الطبعة الأولى1412هـ–1991م

[53]– سورة الكهف الآية 110

[54]– جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)ج18 ص 135 المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م

[55]–الدرر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للشيخ ابن ميارة المالكي ج 1 ص29 المحقق عبد الله المنشاوي سنة الطبع 1429هـ 2008م

[56]–سورة التوبة الآية 30

[57] –تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)المحقق: محمد حسين شمس الدين ج 4 ص118الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – 1419 هـ

[58]– شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني –للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي_ دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف مدير عام دار الحديث ص162

[59]– كتاب الأربعين في أصول الدين للإمام الغزالي (ت505هـ) ص 180 الناشر دار الجيل–بيروت سنة الطبع 1408هـ1988م

[60]– سورة الشورى الآية19

[61]– موسوعة القرآن العظيم للدكتور عبد المنعم الحفني ج2 ص 1856–الناشر مكتبة مدبولى–القاهرة